الحجاج في القرآن الكريم
سورة الكهف- أنموذجا

دكتور/ إبراهيم عبد العليم حنفي
الأستاذ المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المملكة العربية السعودية

مقدمة

يهتم البحث بتطبيق منهج الحجاج على سورة الكهف ، حيث احتوت هذه السورة على أربع قصص؛ مثّلت كل قصة منها حالة منفردة، وقد ظهرت تجلياتها في المواقف الحجاجية التي صنعت من تلك المواقف حوارًا داخليًا وخارجيًا ، وثّقته عرى الروابط الحرفية، والآيات نفسها التي قامت – أحيانًا- بلحمة النسيج فكانت السورة معجزة من الله تبارك وتعالي حيث إنها كانت في حد ذاتها تمثل اختبارًا من كفار قريش ويهود مكة (للرسول صلى الله عليه وسلم) على نبوته، وأنه رسول من الله، فجاءت السورة معجزة على إعجازهم له ، ودليلاً على ما توهموه دليلاً، حجة لمحمد على حجاجهم، فمنذ بداية الحدث كان الأمر حجاجيًا؛ إذ ذهبت مجموعة من كفار قريش لأحبار اليهود على أنهم أهل كتاب يحاجوهم خبرًا من أن محمدًا نبيًا من الله أم أنه يدعي النبوة، فأشارت الأحبار على قريش أن يقيموا على الحجة، ويسألونه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول؛ ما كان من أمرهم، إذ أنهم قد كان لهم شأن عجيب، وعن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وعن الروح ما هو؟

فمناسبة الآية تمثل موقفًا حجاجيًا، يستمر داخل النسيج القصصي بطريقة شيقة؛ من خلال عرض السجال المتنوع والمختلف في كل قصة من القصص الأربعة؛ والمتمثلة في: فتية الكهف وصاحب الجنتين و موسى والعبد الصالح و قصة ذي القرنين؛ إذ لم تكن كل قصة بمعزل في نسيجها الداخلي الحجاجي عن الإطار العام الرابط بينها وبين القصص الأخرى؛ ومن ثم حاول البحث أن يغوص في أنواع الحجاج المختلفة، ومنها الحجاج بالتصدير، والحجاج بالقوة، و الحجاج بالجودة، مبينًا الحجج المؤسسة على الواقع والمنطق.

كما تعرض البحث – أيضًا– للسبب وللحجاج، وللحجاج بقول الخبر، و التعليم والسبب؛ كما أفرد – الباحث– مبحثًا مستقلاً عن الروابط الحجاجية، وكذلك وظيفة الحجاج؛ موضّحًا أشكال الحجاج بكل ما تضمنته على سورة معجزة من سور الله تبارك وتعالى.

مفهوم الحجاج:

هو مقارعة الحجة بالحجة، حتى يفصح البرهان بالنتيجة، أو ربما تستنتج من خلال السجال والأقوال واللغة التي تعبر عن الموقف وتوافق مقتضى الحال، الذي يفرض نفسه من استدلالات وبراهين ومتواليات من الخطاب.

الحجاج في اللغة:

تدور معاني الجذر اللغوي للحجاج (ح– ج–ج) بمعنى المجادلة بسبب خلاف الرأي أوما شابه، ومنه الدليل على الرأي المرغوب إثباته، فجاء بمعان عدة: الحجة، أو حاجة محاجة وحجاجًا: جادله، واحتجّ عليه، وأقام الحجة، وعارضها مستنكرًا فعله، وتحاجوا: تجادلوا، والحجة: الدليل والبرهان" (١). وفي أساس البلاغة: " حاج خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج" (٢). الحجة ما توقع به الخصم، ورجل محجاج: أي جدل، والتحاج: التخاصم، واحتج بالشيء اتخذه حجة"(٣).

وقد جاءت مادة **(حج وحاج)** مصاحبة للقول والحوار في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾البقرة– (٢٥). ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ سورة النساء –(١٠٩). وقال تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ سورة الأنعام–(٨٠). ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ سورة الشورى – (١٦).

الحجاج اصطلاحا:

لقد اعتمدت الدراسات الحديثة المعنية بصناعة الخطاب وتداوله عبر النصوص المختلفة ليكون الحجاج بطلاً في هذا المجال الرحب؛ حيث يكون رابطًا من روابط الإقناع كما حدد وظيفته "بيرلمان" والمتمثل في (حمل المتلقي على الاقتناع بما يعرض عليه أو زيادة في حجم هذا الإقناع)(٤). يقصد به الحجة المعطاة التي تهدف إلى إثبات أو نقض قضية(٥).

وفي كل الحالات يستبين (الحجاج) من خلال إثبات البرهان، فإقامة الحجة (معناها: تمشٍ ذهني بقصد إثبات قضية أو دحضها، وإما دليل يقدم لصالح أطروحة ما أو ضدها(٦).

وتعتمد المادة نفسها على (ملفوظ) مثبت (مقبول)، هو الحجة، قصد بلوغ ملفوظ أقل إثباتًا (أقل قبولا) هو النتيجة) (٧)، وهو ما أطلق عليه(بيرلمان) مصطلح (الخطابة الجديدة **New Rhetoric**) عام ١٩٥٨م؛ فقد تناول الحجاج وعرّفه بأنه تأثير على عقل المتلقي، والتغيير في سلوكه، وقد قسم ذلك إلى طريقتين الأولى: التحليل والاستدلال، والثانية: عملية الاتصال (٨)، في حين أن هناك من رأى أن يوجه الحجاج إلى المتلقي إلى وجهة واحدة لا غير فلا يحتاج إلي تأويل، وقد تزعم ذلك "ديكرو" وخلص إلى نقطتين هما: التأكيد على الوظيفة الحجاجية للبني اللغوية، والسمة التوجيهية للخطاب.

فالحجاج في مجمله هو: إقامة الحجة والبرهان عليها، سواء أكان بطريقة استدلالية، أم بطريقة يفهم فحواها المتلقي، وربما كانت لغة الإشارة بمعناها البلاغي هي أوقع من خلال الخطاب والموقف المثار من عرض للأسباب، وهو ما تبناه "**كريستيان بلانتان**" في أن البحث عن أسباب ظاهرة ما أمر هام بطبيعة الحال للمعرفة الصرف كما للمعرفة المقصود بها العمل) (٩). وقد تجلت أشكال الحجاج في القرآن الكريم بوصفه نصًا حجاجيًا، وأيضًا هو كتاب (إصلاح) بمعنى أنه يرمي إلى تغيير وضع الأمة؛ فإذا كان القرآن كذلك كان القرآن حجاجيًا ولا مراء في ذلك " (١٠)، وقد عظم ذلك في (سورة الكهف) التي تناولت أربعة محاور قصصية كان الحجاج هو البطل الرئيس لا المكان ولا الزمان. وقد صب في قالب بلاغي حواري مثّل إعجازًا وبيانًا للحجج ،متضمنة نتائج يقينية وضمنية، تأطرت فيها آليات كوسائل مساعدة،

وروابط بين كل قضية متماسكة داخل كل آية، وأسئلة مباشرة وأخرى افتراضية مثل قوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾، ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾؛ لتبرهن على عظمة الله عز وجل وبلاغة القرآن الكريم)، كما تضمنت مستويات الحوار الثقافي لكل قضية، فحجاج سيدنا موسى مع العبد الصالح (الخضر عليه السلام) هو حجاج التعليم المؤسس للواقع، وكذلك بالنموذج المضاد ﴿قَالَ لَهُ موسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾. كما يختلف عن حوار من لجأوا إلى ذي القرنين، فهو حجاج المساعدة﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾، كما يختلف عن درجة إيمان الفتية الذين آمنوا بربهم واتفقوا على رؤية واحدة؛ فكان مصيرهم جميعًا واحدًا في مكان واحد مقدرًا من الله عزوجل وهو الكهف ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾، فلم تسم السورة بأهل الكهف ، وإنما سميت بسورة الكهف كمكان له شأنه يأوي إليه كل من آمن بالله كما كان حال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بغار حراء؛ فالحجاج والإقناع يتفقان خطابيًا فسورة الكهف قد ملئت بسجالات عديدة متنوعة الأساليب، ومتعددة اللغة الحوارية .﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ أو الحجاج التوجيهي مثل ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾أو التقويمي مثل ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ والحجاج الضمني الذي ينقسم إلى قسمين قسم للمتكلم وقسم للسامع مثل ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ سورة الكهف (٨٣). كما ظهرت معان اقتضائية أو ما يعرف بالمقام خارج الملفوظ ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ (٣٥).

والمقصود هنا التخيل لواقع العذاب، ولم تفتأ السورة أن عرضت الخلفيات الثقافية في كل مناسبة في سور الجنتين حيث بينت: (الأنهار – المال – والبنون – الأعز نفرًا– الثمر– خاوية على عروشها) من خلال قوله تعالى:

١– ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ الكهف –(٣٣).

٢- ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾الكهف- (٣٤).

٣- ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ الكهف -(٣٥).

٤-﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ الكهف- (٣٦).

٥- ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا.﴾ (٣٧).

وتكمن أهمية الحجاج في عرض الحجة بالحجة أو بيان الجدل وإظهار قوة الخطاب: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة - (٢٥٨).

فقد تضمن القرآن الكريم الجدل والإجابات الضمنية والأسئلة الافتراضية، واحتوى على الروابط والعوامل الحجاجية؛ من ثم كانت (سورة الكهف) مثالاً للحجج والبرهان فلم تتضمن قصة واحدة وموقفًا واحدًا ثابتًا؛ بل تضمنت أربع قصص؛ اختطت كل قصة منها حالة أسلوبية مختلفة؛ حيث مثلت مبدأ افتراضيًا مرة واختلافًا شكليًا مرة أخرى داخل الأقوال والجدال، وانقسمت قضاياه الأسلوبية ضمنيًا: نصفًا للمتكلم ونصفًا للسامع على حد ما حدا بنا (مايير) في تقسيمه للحجاج، وإذا طبقنا ذلك على السورة نراه كما في ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سأتلو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ لذا تضمنت (سورة الكهف) موعظة من خلال القصص التي كانت بيانًا، وبلاغة في الأسلوب، وقد ارتبط المسلمون بتلاوتها، ومن ثم يعرض البحث القضايا الحجاجية التي تضمنتها هذه السورة محاولاً إظهار مدي عظمة القرآن الكريم وقوة بيانه من خلال استخدامه للحجج التى تؤول بطبيعتها إلي الإقناع متخذًا أسلوبًا يستحق الدراسة، فقد ذخرت السورة بقضايا تخللها الإقناع بصوره العديدة، وصاحبتها أدوات وآليات وطرق شتى بلاغية الصور، متعددة المستويات. فقد تضمنت السورة قصة أهل الكهف موظفة (الحجاج بالتعليم) من بيان الحجة بالحجة والنموذج، وبالنموذج المضاد حتى إن في سبب نزولها حجاجًا، فكلمة (الكهف) في حد ذاتها حجاجية لدورها الدلالي كما من الدلالات المرجعية، ومن ثم تتفتق الدلالات الأسلوبية داخل كل قصة .

إن القرآن له خصائصه الأسلوبية، وقد تفرد بالخوض في بيانها أسلوبيًا (عبدالله صولة) على مستوى معجم القول الخاص، وله خصائصه التركيبية وله خصائص على مستوى الصورة لذا فإن الأسلوب القرآني حامل حجاجيا . فتلك الفتية التي آمنت بالله ووقر إيمانهم في قلوبهم فأنعم الله عليم بالحماية من الملك الظالم وكان الكهف حماية لهم من الهلاك ولم تعرف الصورة بأهل الكهف إنما الكهف بطلا للقصة- مكان- فسميت السورة بسورة الكهف وكان الحجاج سمة أساسية ،. وإقرارا بالواقع والاستدلالات ، بقوله تعالى:﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بوَرِقكُمْ هَٰذه إِلَى الْمَدينَة فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَاما﴾ الكهف (١٩).

وكذلك قصة صاحب الجنتين وما حدث لهما من دمار؛ فالحجاج أصيل في الإقناع ومتربط بالمكان كما سنبين. وكذلك قصة سيدنا موسى عليه السلام والعبد الصالح ، فأماكن الحدث: (مجمع البحرين – القرية – السفينة – الجدار)؛ حيث تميز الحجاج بين سيدنا موسى والخضر عليه السلام بتعدد أنواعه وأنماطه. أما قصة ذي القرنين فالمكان تجلى فيها (بين السدين والسور) وكان الحجاج له شكل خاص مع أناس لا يفقهون شيئا وعلاقتهم بذي القرنين الذي مكن له في الأرض. ومن ثم فالمكان له أهميته في الأحداث، أما الحجاج فهو أصل الدراسة. كما كانت مناسبتها وسبب نزولها أساسًا حجاجيًا، فقد ضربت مثلاً لإقناع قريش بنبوّة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندما سألوه مفترضين عجزه عن الإجابة عن الفتية المؤمنة الذين سكنوا الكهف هربًا من ظلم الملك؛ عن عددهم ومكان دفنهم وكم لبثوا فيه؟. فأجابهم بما طلبوا. وقد دار حجاج بينه وبينهم في نسيج حواري آل إلى إقناعهم بإثبات نبوته من خلال سجال حجاجي دار في إطار نسقين معرفيين: أولهما إعجاز الآخر بالحجة والبينة؛ والثاني الاستجابة في إثبات ما طلبوه من قرع الحجة بالحجة. وجاءت الغلبة للثاني إذ أجاب عن أسئلتهم بدلائل بينة مؤكدة لما افترضوه، لذا كانت السورة في مناسبة ذكرها في القرآن الكريم حجاجًا وقضاياها المتضمنة أيضًا حجاجًا؛ مقنعة ثابتة بالبرهان والدلائل وصفًا وتفصيلا مثل المكان والصفات والأحوال؛ فتبدى المكان بوصفه (الكهف ومجمع البحرين وبين السدين والجنتين) ممثلاً آلية من آليات الإقناع، كما تجلى المستوى الثقافي في القصص؛ ولأن الكهف مثل النوم والغياب فكان الأسلوب الأنسب بالضرب على الآذان للثبات العميق ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾، وهو أمر

مختلف كلية عن ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ فما لبثت مقدمة لتقر نتيجة:

- ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ﴾
- ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾

والنتيجة: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾

كما تعددت أشكال النتائج وأنواعها؛ ومثال ذلك النتيجة الاستباقية التي كانت مقياسًا للقدرة مع العلم في محاورة سيدنا موسى مع الخضر عليه السلام:

﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾

- **نتيجة استباقية**

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾

- **نتيجة مؤكدة**

لذا تأكدت النتيجة **الاستباقية** بنتيجة **مؤكدة** (ضمت كل النتائج الصغيرة): **﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾**

- فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا = ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾
- فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ = قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾
- **(قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ)**

ومن ثم نرى القاعدة الاستباقية جاءت بعد مقدمات تؤول بطبعها لتأكيدها.

أنواع الحجاج

<u>الحجاج بالتصدير</u>:

ويقصد به تصدير الفكرة مسبوقًا لنص ما حتى يتهيأ المتلقي لاستقبالها، ويتشوق إلى سماعها؛ وغالبا ما يأتي في مقدمات السور أو القص القرآني، وقد ظهرت في (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) سورة يوسف– (٣) ، أو ربما يأتي مصاحبًا لبشرى للذين يحملون البأس والشدة فإن لهم (أجرًا حسنًا): (قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا) سورة الكهف – (٢)، كما أنه يأتي للفاصل

في سورة الكهف، أو قد يأتي بين فواصل الآيات كتأكيد من الله عز وجل بالتصدي الأول للقيمة والفكرة (الأجر الحسن) فبعد أن انتهى قصُّ أصحاب الكهف؛ تأتى قصة صاحب الجنتين فيكون الفاصل السابق عليها تلك الآية (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَمَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) سورة الكهف– (٣٠). لذا عدت الآيات نفسها روابط حجاجية.

التصدير بعدم القدرة:

فقد صدرت مصاحبة موسى عليه السلام للخضر بعدم القدرة على التحمل (قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) الكهف– (٦٧).

الحجاج بالجودة:

دلّت الآيات الكريمة على قيم ومثل عليا؛ بضرب الأمثلة التعليمة وخاصة في حوار موسى عليه السلام والخضر، فكان الخضر يُحكم أعماله ويتقنها في المواقف التي يمر بها، فإذا مر بالسفينة خرقها خرقًا لا يمكن إصلاحه، ﴿ فانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَ﴾ ، كذلك قتله للغلام فلم يكتفِ بضربه لأن الضرب لا فائدة منه ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ ، كما كان بناء الجدار بناءً محكمًا ﴿ فوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ .

الحجاج بالقوة:

هو ما يعرف بالتهديد أو شكل من أشكاله الذي (يرمي إلى حصول منفعةٍ من المخاطب بالإكراه) (١١) ، ويمكن أن يتماس مع حوار الخضر لسيدنا موسى عليه السلام: ﴿ إنك لن نستطيع معي صبرًا ﴾ التي كرّرت ثلاث مرات بالصيغة نفسها في كل موقفٍ يستدعى من موسى اعتراضًا لما يصنعه الخضر؛ فيضطر الخضر إلى تهديده بالامتناع عن مواصلة الأحداث، لكن موسى كان شغوفًا بنتائج ما يحدث؛ فإذا كانت مقدمات مثيره فعليه أن ينتظر التحليل بالحجة؛ ومن ثم كان الحوار بينهما هو البطل، لا الزمان ولا المكان الذين جريت فيهما الأحداث؛ فهو حوار حجاجي تعليمي خالص.

الحجاج بالجودة:

ويقصد بها الجودة الحجاجية وهي عند غرايس: الحكم (The maxim quality) (١٢)؛ وقد جاءت في سورة الكهف لتعلن الكم والكيف معا في قوله تعالى ﴿ كَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ وتفرد عبد الله صوله في

مواضع الكم وقصد بها (المواضع التي تثبت ما أفضل من شيء آخر لأسباب كمية من ذلك أرسطو في المواضع To piques؛ وهو أن المال الأوفر كمية من المال الأقل وفرة. أما مواضع الكيف وهي ضد الكم من حيث إنها نسيج وحدها، فهي واحدة ضد جمع، وتستمد قيمتها من وحدانيتها تلك" (١٣).

ومن ثم كانت محاورة الرجلين على أيهما أحسن جنة، وأكثر ولدًا، وهو نسق اجتماعي غرائزي في المجتمعات كلها حيث يتمثل في جلب المال، ووفرة الأولاد؛ فإذا تحقق ذلك له تمكن من التملك والتفرد وكانت نتيجة ذلك قوة، يفتخر بها على الآخرين. لذا نري إقامة الحجة بالمحاورة (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ) وهنا تأطير للموقف وهو الحوار (وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) فجاءت فجائية الحدث لتكف الآخر عن إكمال هذا الحوار بإقامة الحجة التي لا يملكها: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾، فكان السكوت خيرًا له من المجادلة، فما له إلا أن يشكو إلى الذات العليا وهو (رب العزة)، ومازال نسق الحوار مستمرًا: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾، وقد أقيمت الحجة عليه وخرج الحوار عن سياق الافتخار بالمال والولد؛ ليرمي به صاحبه في نقطة لايمكن الإجابة عنها، وكأن كلًا منهما يحاول بالحوار إسكات الآخر من خلال إقرار الحجة عليه: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ – (٣٧)، ومن ثم يرمي به في نقطة لا فكاك منها بقوله ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ –(٣٨)، فإذا كان الحوار بين راوٍ ومروى له، فنجد الحديث السردي قد تطرق إلى ما هو أبعد من القضية وهو(ما يعرف بالقص من خارج الحكاية، وهو يخص الراوي بخطابه القصصي أي بما ينتجه من سرد، وهو خارج الحكاية، لأن راويه لم يدرجه أى راوٍ آخر. وهو ما يعني أنه يحتل مستوى السرد الأوليّ ويناظره مروي له يكون بدوره من خارج الحكاية". (١٤).

وقد اعتنت المدرسة البلجيكية بدراسة البلاغة الحجاجية وأطّرت لهذا منطلقة من فكرة أن (الخطاب يسعى إلى تدعيم وضعٍ أو تغيير آخر، **أو إيجاد** موقف تجاه قضية ما، وأن تلك الخيارات لابد أن تتأسس على خطط حجاجية مقصود بها المخاطبون)(١٥).

لذا كانت النتيجة المتوقعة بمقدمات الآيات هي: عقاباً من الله، فصاحب الجنة لايرى إلا حقيقة عزه ومجده. وقد علق "كرستيان بلانتان" في شكل هذا الضرب بـــ

(خطاطة الحجاج الدنيا – ويقصد بها إقامة الحركية التحاورية للحجاج، ومن اللازم الآن البت في شأن خطاب الجمل الحواري الذي ينتجه العارض) (١٦).

فالعارض صاحب الجنة الأعز نفرًا = النتيجة ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾– (٤٢).

وهذا"معنى ضمني لكل شخص يمر بنفس الموقف حث عرض القرآن الكريم المواقف الأحادية ومتضمنة الكل المشابه في الحالة" (١٨).

ويأتي النمط الثاني في بناء ذي القرنين السدّ على يأجوج ومأجوج بثلاث مراحل: الأولى : الإتيان بالحديد، والثانية: إشعاله بالنار فيسوي بين السد، ولم يكتف بذلك فجاءت المرحلة الثالثة: وهي أن يصب عليه النحاس المذاب حتى يضمن عدم خروجهما. قال تعالى: ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ – (٩٦).

كانت مقدمات حجاجية استباقية تنتظر النتيجة وهي عدم إمكانية الخروج منه أو ثقبه﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ –(٩٧).

الحجج المؤسسة على الواقع:

تتماثل بعض الآيات القرآنية في إطار منطقيّ " للربط بين أحكام مسلّم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلّمًا بها. وذلك بجعل الأحكام المسلّم بها والأحكام غير المسلّم بها عناصر تنتهى إلى كلٍ واحدٍ يجمع بينهما، بحيث لايمكن التسليم بأحدهما دون التسليم بالآخر، ومن هنا جاء وصفها بكونها حججًا اتصالية ،أو قائمة على الاتصال" (١٧)، فمنطقية الحدث أن يكون له ردّ الفعل، وهي أحكام مسلّم بها، فطلب موسى عليه السلام المقابل لكل عمل يقوم بأدائه من نهج الطبيعة البشرية؛ وهو حين طلب من الخضر عليه السلام الأجر في إقامة السور من البلد التى رفض أهلها إطعامهما ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾– (٧٧). كما تمنّى الأجر صاحب الجنة محاجًا من الله أن يأجره بحديقة أحسن ثمارًا من حديقة صاحبه ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾– (٤٠). فقد وعد الله بالأجر في فواتح القصص الثلاث مثل قصة ذي القرنين، فكان الأجر والجزاء الحسن مقابل الإتقان في العمل الجيد ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ

لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾"٨٨". كما تعدد الأجر المنطقي في العديد من الآيات في سور القرآن ومنه قوله تعالى فيه في آخر " سورة ص" ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾- (٨٦).

وقوله في الفرقان﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾- (٥٧).

وقوله في " الأنعام ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾- (٩٠).

وقوله عن هود في " سورة هود ﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾- (٥١).

وقوله في " الشعراء "

عن نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب عليهم السلام ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾- (١٠٩).

وقوله في سورة يس : ﴿ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾- (٢١).

وبما أن هناك حجاجًا مبنيًا على المنطق يؤول إلى نتيجة الثواب بالإحسان والأجر، فهناك حجاج تتمثل نتيجته في العقاب، فصاحب السفينة الذي استولى على رزق الناس غصبا فكان عقابه بخرق السفينة ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾- (٧٩).

وكان عقاب الصبي الذي سيرهق والديه المؤمنين القتل فيبدلهما الله خيرا منه: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ "٨٠"

فالخضر يقوم بدورين أساسين في سياق هذا القص: الأول أنه راوٍ، والثاني: أنه شاهد على الوقائع؛ ويمكن أن نعرّفه بأنه قص متضمن في الحكاية حيث "يتميز بحضور الراوي في الحكاية التي يرويها، فهو مشارك، وأدنى مشاركته أن يكون شاهدًا وأقصاها أن يكون المضطلع بالبطولة؛ فيكون بذلك راويًا ذاتي – الحكاية " (١٩). ولا شك أن الحوار الحجاجي هو المحك الرئيس في هذا السياق؛ حيث يمر بمراحله الأربع بدءًا من **الطور التنازعي** والمتمثل في الإعلان عن حالة تنازع وتعيين المسألة؛ ثم **الطور الانفتاحي** الذي يتم فيه اتخاذ القرار بحل التنازع، ثم **الطور الحجاجي** هو الذي

يتصدى فيه العارض للدفاع عن معروضه؛ خاتمًا **بالطور الختامي** وهو الذي يتم فيه حل المحاورة" (٢٠).

السبب والحجاج :

وغاية هذا الضرب من الحجاج "بيان وجود علاقةٍ سببيةٍ بين حدثيْن، فالبحث عن أسباب ظاهرةٍ ما أمر هام بطبيعة الحال للمعرفة الصرف كما للمعرفة المقصود بها العمل" (٢١).

وقد تعلقت الآيات القرآنية عامة بالأسباب، وقد وردت كلمة (سبب) في سورة الكهف لتدلّ على أن تمكن ذي القرنين في الأرض كان له سبب في قدرته على حماية الناس، وكان لقدرته سبب في قوله :﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾– (٨٤)، ومن ثم أمرنا الله تعالى باتباع السبب في أصغر آيةٍ في السورة وهي ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾– (٨٥)، فبدهية المقدمة تعلن بجلاء عن الأحداث التي تليها، فطرح السبب مسبقاً يستدعي السؤال عمن يمكّن له في الأرض، وماذا سيفعل بهذا التمكين؟ وما نوع تلك القدرة التي لديه ؟ وما الموقف الذي يحتم استدعاءه هو دون غيره؟

ويتضح من التتابع السياقي للآيات الكريمة أن صاحب قدرة خارقة اسمه ذو القرنين؛ وهو شخص خارق للعادة في عصره؛ استطاع أن يصهر الحديد والنحاس وبنى بهما سدًا على يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض؛ والذين عجز الناس عن صدهم (فلا يفل الحديد إلا الحديد) لذلك تكررت الآية لتدخل بنا في سياق السرد بطريقة تدريجية دون مباغتة (ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾– (٨٩)

وترد (قالوا) في السياق بصيغة الطلب: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾– (٩٤).

ثم يكون السؤال عن قدراته وهو ما يمكن أن نسميه (العلم بالتضمين) ويقصد به القوة التى به والعلم والتمكن؛ لذلك يكون الرد من بنية الكلمة– التمكن: ﴿إنا مكّنا﴾؛ والإجابة ﴿ ما مكّني﴾؛ ويتم طرح السؤال: ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾– (٩٤) قَالَ ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾– (٩٥)، وهناك في الآيات بما يسمى بدحض الحجاج السببي وهو (معروف بإلغاء الأخطاء، فما هو السلوك الذي يتوخاه المرء حتى لا ينسب إلى ظاهرة ليس هو سببها)(٢٢)، وبعد أن يبين الله تبارك وتعالى سبب حرق الجنة التي كفر صاحبها بنعمة الله عليه؛ يخبرنا الله

أن الإنسان أكثر جدلاً؛ فقد جاءت الأية تعقيبًا على حديث صاحب الجنة وتأطيرًا لما سيفعله موسى مع الخضر من المجادلة ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾- (٥٤).

ثم جاءت كلمة (دحض) مباشرة؛ حيث لا غيرها تناسب هذا السياق في قوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾- (٥٦).

الحجاج بقول الخبر :

ويقصد به إخبار المستمعين عامة بتفسير حادثة، ربما يكون أحد المتلقين قد تكهن بها مسبقًا؛ ومثال ذلك في طرح السؤال عن أولئك الفتية الذين دخلوا الكهف ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ -(١٠). أو قد يكون الخبر مستدعىً منه السؤال عن ماهية الخبر؛ فيجعل الإجابة مفتوحة بالخبر عن تلك الأسئلة. ومثال ذلك في سورة الكهف إذ يحثنا رب العزة ألا نجادل في عددهم؛ فالشيء المهم ليس عددهم بل ما حدث لهم لبيان الموعظة في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾- (٢٢).

وقد "روي أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد – وكان يعقوبيًا :كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب – وكان نسطوريًا : كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون: كانوا سبعة ثامنهم كلبهم، فحقق الله قول المسلمين بعدما حكى قول النصارى فقال : سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجمًا بالغيب (أي : ظنًا وحدسًا من غير يقين، ولم يقل هذا في حق السبعة فقال: (ويقولون) يعني : المسلمين) سبعة وثامنهم كلبهم"(٢٣).

وحتى الإخبار عن الوقت الذي مكثه هؤلاء الفتية في الكهف لم يكن الخبر فيه واضحًا، بل يحتمل الشك؛ لكن الله يبطل بالخبر السؤال عن الإجابة فيقول تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ – (١١)

وإذا اختلف الناس في عدد السنين جاءت الآية تخبر بأن عددها ثلاثمائة وتسع ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (٢٥) ثم ما لبث الإخبار أن يرجع إلى أن العدد غير مؤكد فالعلم عند الله ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾) آية "٢٦".

فأحداث الكهف ذات أزمنة متباعدة، ولكن ضمت جميعها في قصة واحدة؛ وهو ما يعرف في عالم السرد (بالتآلف الزمني) وقد استعملها جونات – بتلك الأحداث التي في الحكاية والخطاب فهو يقوم على جمع أزمنة متباعدة يضمها الراوي بموجب صلات مكانية أو غرضية أو غيرها" (٢٤)؛ فالقصة والعبرة منها هي الأهم، من عدد السنين التي مرت، أو من عدد الفتية هو ما يعرف بقانون الأنفع وهو التركيز على العنصر الأساس، وقد عرفه عبد الله صولة:"وهو أن بين وحدات اللغة تفاوتًا في درجة التعبير حجاجيًا عن فكرة ما، بحيث يعتمد التعبير بالعنصر (أ) دون التعبير (ب) وتطبيقا لقانون الأنفع حجاجيا. فالسؤال الذي يطرح هنا ، عند سماعنا خطابًا ما هو: لماذا ترك المتكلم (ب) وعبر بدلا منه بالعنصر (أ) وما وجه النفع في ذلك، أي فيم كان العنصر (أ) أو الطريقة (أ) أنفع وأجدى من الطريقة (ب)؟ (٢٥)

وقد تحيل القارئ دائما إلى أسئلة متناظرة عبر السورة الكريمة وهي لماذا أحداث القصص الأربع؟ فمفهوم الحجاج بعامة والتفسير متناظران إلى حد ما: (حالة التفسير: المعطى هو الظاهرة، فنبحث عن سببها وهي العلاقة بين س–(سبب) و ظ (ظاهرة) فيقع النقاش حول س. وحالة الحجاج بالسبب: تم قبول ظاهرة المعطي وعندئذ نتساءل إلى أي حد هي تبرر النتيجة موضوع النقاش.

فقصة صاحب الجنتين الذي أثار جدلاً حول ما يملك من نعم، تحيل لسؤال لماذا أتت هذه القصة؟ لتفسر معطى الظاهرة ونبحث عن سببها، فتكون في مجملها قد أتت لموعظة المؤمنين، ولم يكتفِ بهذا فحسب بل صاحبها الإقناع والاستدلال؛ وتكون مثلاً لكل نموذج بشري يعيش في فضاء صاحب الجنة حتى ينال العقاب؛ ومن هنا يستقيم النسق الاجتماعي المسلم، فالقضية تتكرر بين بني البشر، ويكون العقاب غالبًا واحدًا، ومن ثم نرى المجتمع يتكون لديه استباق للحدث من خلال السبب، فإذا عرف السبب بطل العجب، ولم يكن العقاب وحده الذي نستشرف منه السبب فهناك عمّال الله من البشر الذين يكونون سببًا مرشدًا، فالنمط الأول تجسد في اختباء الفتية في الكهف؛ فكان السبب راجعًا إلى حمايتهم من قبل الله عز وجل؛ حيث هربوا من الظلم الواقع

عليهم فهم (فتية آمنوا بربهم) فكان الكهف حماية لهم ، فانسحب هذا الأمر على كل من آمن بالله فعلى الله حمايته، أما الأمر الثاني فتجسد في حماية الإنسان لمجتمعه من الظلم، إذ حمى ذو النون القوم من شرور يأجوج ومأجوج والمفسدين في الأرض،وما فعله معهم بقصد حمايتهم.

فالمسألة الأولى: (كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ولَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا آية ٣٣)

(العقاب) ⟵ (فكان السبب)

﴿خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾) = ﴿ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾

المسألة الثانية:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾

الحماية ⟵ السبب

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾

المسألة الثالثة:

- ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ – ٨٤

الحماية ⟵ السبب

- ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾
- ﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾

التعلم والسبب:

تلك هي القضية الرابعة ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ – (٦٦). موسى والعبد الصالح إذ ظن موسى أنه على علم بما لا يعلمه الآخرون؛ فجاء تعلمه علي يد عبد صالح يعلمه ثلاث قضايا لا علم له بها، وهي: قضايا: السفينة وإقامة الجدار، وقتل الغلام.

النتيجة بالتعلم:

وذلك من خلال علاقة السبب بالمسبب:

﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾

وهي دعوة لطلب العلم والصبر عليه؛ لكنه لم يستطع الصبر:
﴿قالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾- (٦٦).

الروابط الحجاجية:

إن الترابط في القرآن الكريم في آياته يعد سمة أساسية، فالانتقال في السورة الواحدة يأتي عبر ترابط ذي صلة وثيقة لا تنفصم عن غيرها لذا فإنها "يتحقق فيها وحدة الموضوع ووحدة المقصد ووحدة الشعور، والجو النفسي" (٢٧).

فلم تكن كل آية بمعزل عن الأخرى؛ فالكل في نسيج واحد، إذن الربط الحجاجي يقوم بين ملفوظين أو أكثر في إطار استراتيجية حجاجية واحدة؛ حيث تنقسم إلى أنماط عدة منها المدرجة مثل(بل – لكن – مع ذلك– لأن)، وروابط مدرجة للنتائج مثل (إذن– لهذا – وبالتالي) ، وروابط تدرج حججًا قوية (حتى –بل – لكن – لاسيما)، وروابط التعارض الحجاجي (مع ذلك– لكن – بل)" (٢٨).

ونستطيع من كل ما سبق أن نستشرف التالي:

١- بدايات الآيات.

٢- الروابط بين الآيات في القصة الواحدة.

٣- الروابط بين القصص بعضها ببعض.

إن بدايات قصة الفتية تطالعنا بـ (إذ) لتدلّ على ما مضى من الزمان، وهو اسم مبني على السكون وحقه أن يكون مضافًا إلى جملة، تقول جئتك إذ قام زيد وإذ زيد قائم وإذ زيد يقوم" (٢٩).

وربما تعنى الفجائية أيضًا، فجاءت في بدايات الآيات مصاحبة للقول مرتين والثالثة مصاحبة للنتيجة:

١- إذ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ **فَقَالُوا**

٢- قَامُوا **فَقَالُوا**

٣- اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ **(نتيجة)** (يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ)

كسلم حجاجي إذ + الفعل الماضى + قول ثم إذ+ الفعل الماضي + القول = نتيجة.

وفي القصة الثانية (قصة صاحب الجنتين) جاءت (إذ) نتيجة لحالة الجنتين بعد القول، فقد صارت الجنتان إلى سراب يدعو إلى الندم؛ فقد بدأت بسلم حجاجي مكون القول + الرد + النتيجة (إذ + الفعل الماضي القول):

فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ (الحالة): = (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ (الحالة): (أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ)

وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ(الحالة) **قُلْتَ:** (مَا شَاءَ اللَّهُ)

فنجد أن عناصر الحجاج في القصة في الآيات الثلاث تجمل محاورها ومقاصدها، فيفهم منها أن هناك اثنين من الرجال أحدهما يحاور الآخر على شيء يتميز به عنه، فما له إلا أن يندم على ما صنعه؛ وهي سمة عامة في بلورة الأحداث في القصص القرآني " فحين يبدأ القرآن حدثًا من الأحداث إلى اتجاه من الاتجاهات التي يريدها له ، فإنما يحركه من أعماقه، فيتجه إلى غاية اتجاه السهم الرمية دون أن يتوقف أو ينحرف، ذلك أن القرآن يمسك به من جميع أطرافه، ويستولي على كيانه، فلا تكون هناك خلخلة أو انقسام بين ظاهر الشخصية وباطنها "(٣٠).

أما في قصة سيدنا موسى عليه السلام والعبد الصالح فتكون الروابط في بدايات الآيات؛ حيث بدأت أيضًا بـ (إذ) ثم تنحصر في القول مصاحب روابط مكونة من (إلى – ذلك – له– الفعل في المستقبل – فَإِن– أَلَمْ– هذا).

قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ ⟵ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ

قَالَ: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ

قَالَ لَهُ مُوسَى: هَلْ أَتَّبِعُكَ

قَالَ: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا

قَالَ: فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي

قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا

قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي

قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا

قَالَ: إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ

قَالَ: هَذَا فِرَاقُ

ثم كانت النتيجة: (هذا فراق)؛ لتنتهي الأحداث، وهذا يعد ضربًا من الحجاج التقويمي؛ " حيث يقوم على مراعاة المتكلم في خطابه لشيئين هما: الهدف المراد تحقيقه أثناء بناء خطابه، ويستحضرها في حججه ،فيقوم بتنفيذها بحجج معارضه قبل أن يطرحها عليه أو يتوقع منه معارضه بها" (٣١). لقد توافر في القرآن الكريم من المعطيات ما جعله خطابًا حجاجيًا، وما جعل الحجاج يصيب كثيرًا من العناصر اللغوية فيه، مثل الكلمات والتراكيب والصور، وهي تتكرر فيه تكرارًا جعل منها خصائص أسلوبه المتميزة"(٣٢).

أما التفسير للقضايا السابقة من خلال الروابط فقد جاء بـ (أما) لتفسر من تضمنته التساؤلات، وتعد من العوامل الحجاجية؛ حيث إن هناك فرقًا بين الرابط والعامل، فالروابط التي استحدثها ديكرو التي عرفها ب (العامل الحجاجي) هو "صرفية " (مورفيم) إذا جرى تطبيقه في محتوى او ملفوظ معين يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ)(٣٣).

فقد صاحبت (أما) عرض للخطاب، ثم شرح وتبرير مصاحبته بفاء التعقيب (ف)، وقد أجملت القضية الحجاجية بنتيجة بـ (ما) مضافة إلى الفعل الماضي؛ لتقرر وتبصّر المخاطب بحجاجية العمل، وإقناعه بما لا يصبر عليه؛ وهو ما يتجلى في الشكل التالي:

أما: السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ – **فَ**أَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا

(عرض) (ف)

الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ – **فَ**خَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا

(عرض) (ف)

الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ – **فَ**أَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا

(عرض) (ف)

﴿وما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾– (٨٢).

فوردت الفاء كرابط في قضية صغرى ملازمة بإرادة" الخضر" عليه السلام لما يحتاجه الفعل والحدث والقدرة في ذلك؛ وجاءت (فأردت) متمثلة فعل القوة وهذا يستلزم الخرق والثقب للسفينة.

أما القضية الثانية فاختلفت في حدثها، لأن الغلام قد لا ينتهي من عصيان والديه، لذا يستلزم الحيطة والحذر من إرهاقهما، ومن ثم فقد جاء الخوف ليكون رابطًا ضمنيًا (فخشينا).

أما القضية الثالثة: فقد تمحورت في الحماية المستقبلية، وهذه ضامنة من الله، وقد يقوم الإنسان بفعل لا يعلم فحواه إلا الله؛ فيكون عونًا له في المستقبل مثل البناء والزرع، ومن ثم كان بناء الجدار حماية للغلاميْن، فهذه إرادة من الله، وهذا علم قد خفي على سيدنا موسى عليه السلام ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾- (٨٢)، وقد جاءت النتيجة على رد التساؤلات الحجاجية بالفعل ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾- (٨٢).

إن القضايا الحجاجية في السور الأربع تتفاعل عبر الفعل وردة الفعل، فأهل الكهف الذين هربوا من عدوهم كانوا عددًا قليلاً فكان الكهف مأوى لهم ليناسبهم، ويناسب عددهم، ولكن إذا كان الأمر لقوم بأسرهم يتعرضون إلى ظلم فسيلزم لقوة تقف أمامهم، وتمنعهم، وإذا كان فردًا سيقف أمام القوة فيجب أن يتمتع بقوة فولاذية، بل هي بعض من قوته، وهكذا جاءت القصة الأخيرة بسؤال حجاجي (يسألونك) بما يمكن أن نسميه الحجاج بالفرضية، على فرض أن من يسأل مقدمًا عن ذلك الرجل الذي قيّد قوة يأجوج ومأجوج، فلم تكن معالمه واضحة ولا زمانه كذلك، وكان الحدث هو بطل القصة ؛ وتكرر الأمر في باقي القصص الأربع حيث لم يتحدد فيها المكان والزمان بوضوح، ولم ترسم فيهم الشخصيات رسمًا دقيقًا فلم نعرف من هو صاحب الجنتين، ولا الفتية أصحاب الكهف كذلك العبد الصالح، حتى إذا جاءت قصة ذي القرنين، نجد أن القرآن يتلو علينا بعضا منه أفعاله) ﴿ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾- (٨٣).

الرابط (أ) = إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ

الرابط (ب) = وَآتَيْنَاهُ

وقد جاء الرابط مقترنًا بـــ (إما) التي تفيد الاختيار، فبنيت الجمل على أساســها ومقترنًا بـــ (أما) التي تفيد القرار عبر المجمل الحجــاجي للقــضية؛ ليحــدد الإجابــة ويجملها بجواب الشرط مقترنًا بالفاء للتأكيد: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾– (٨٦).

إما أَنْ تُعَذِّبَ ← (عرض) أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ← (عرض)

أما مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ = فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ

(نتيجة) ← جواب الشرط (ف)

مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا = فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى

(نتيجة) ← جواب الشرط (ف)

ولم ينته الرابط الحجاجي في القضية المثارة عند هذا الحد؛ بل تبعته توابــع بـــ (ثم) التي تفيد الترتيب والتراخي؛ وبعد أن يستأنف الحدث بـــ (حتى إذا) لتصف حالة حجاجية جديدة، فكل القضايا مبنية على بعضها البعض بواسطة الــروابط، وإن الحالــة الحجاجية المترتبة على الروابط لتصف الحوار الحجــاجيى المتناســق بمــا يعــرف بالقياس الحجاجي، وهي قضية أما مساوية لها في المقدار تكــررت فيهــا الأداة لــتعلن مستشرفة على قضية أخرى، ثم تدور بنفس الرابط لتربط وتتلاحم في قــضية أخــري بأسلوب حلزوني، ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا" (٨٩)

حتى إذا ← بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ← [وجد] ← وَجَدَهَا تَطْلُعُ

ثُمَّ ← **ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢)**

حَتَّى إِذَا ← بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ← [وجد] ← وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا

حَتَّى إِذَا ← سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ← [قال] ← انْفُخُوا

حَتَّى إِذَا ← جَعَلَهُ نَارًا ← [قال] ← أَتُونِي أُفْرِغْ

فهذه الحالة هي حالة بناء متقن لسد (عرضه كان خمسين ذراعًا وارتفاعه مئتــا ذراع، وطوله فرسخ)، فمااسطاعوا أن يظهــروه، ولا أن يعلــوا مــن فوقــه لطولــه وملاسته)، وما استطاعوا له نقبًا من أسفله؛ لشدته ولصلابته؛ حيث إنه لا يفــتح مــرة

أخرى، لذا يستلزم البناء خطوة بخطوة من الحديد، ثم تسويته بين الصدفين، ثم إذابته بالنار، ثم إفراغ القطر عليه، وهو: النحاس، وروى قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة يرفعه" أن يأجوج ومأجوج يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا، فيعيده الله كما كان، حتى إذا بلغت مدتهم حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء الله، واستثنى، فيعودون إليه ،وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه فيخرجون على الناس، فيتبعون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء فيرجع فيها كهيئة الدم فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نفرًا في أقفائهم، فيهلكون، وإن دواب الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم شكرًا "(٣٤).

أما النتيجة فجاءت مقترنة بـ (ما) لتعلن نتيجة جمع النحاس وإذابته، والردم ليأجوج ومأجوج حتى لا يستطيعوا الخروج نهائيًا:

[ما] ←——— فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ

[ما] ←——— وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا(٩٧).

وظيفة الحجاج:

إذا كان الحجاج يبنى على الإقناع والاستدلال؛ فإن المتكلم والمخاطب يحددان الطريقة المثلى لمحتوى الشكل والمضمون للنص؛ وهناك ملامح رئيسية يحددها "بيرلمان" تستجوب في المتكلم ما يلي:

١-" أن يتوجه إلى مستمع.

٢- أن يعبر عنه بلغة طبيعية.

٣- مسلماته لا تعدو وأن تكون احتمالية.

٤- لا يفتقر تقدم تناميه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

٥- ليست نتائجه ملزمة"(٣٥).

وإذا أحلنا الحالة الحجاجية على النص القرآني نجد أن الإقناع هو المنهج والسبيل الوحيد؛ فهو خطاب موجه كوني إلى البشرية كافة غير مقيد بزمان ولا مكان، ساعيًا إلى أن يكون ديّانة عامّة غير مقيَّدة، " فالمخاطب المتخيّل هو دائماً بالنسبة لمن يحاجج عبارة عن بنية ممنهجة نوعاً ما؛ أي أنّه يؤطِّر القول ويجعله ملائماً لظروفه الواردة فيها، والمتكلِّم البارع هو الذي يستحوذ حذقاً وطواعيّة على مدارك المعنيين

بخطابه أو بنصِّه طيلة فترة الاستماع في حالة الإلقاء، وبالنظر التحليلي لحالة القرآن الكريم في إطار هذا الطرح استطاع أن يؤثِّر في النفوس، ويستميل العقول من أجل التدبِّر في آياته ، ومعجزاته من أجل الاقتناع بمقاصده. موظفًا أساليب مختلفة في توصيل الرسالة؛ تعتمد على التأثير بأساليب متنوعة في التبليغ، لا تتأسّس على الفهم والإفهام فحسب؛ بل تقوم أيضاً على التأثير واستمالة الآخرين، واستنفارهم بغية استنهاض ملكتهم وجعلهم ينخرطون في الحركة الفكرية الموجودة في الخطاب القرآني، وهذا ما يجعل النص القرآني يفترض في طرحه للقضايا الدينية وجود متلقٍ فعليّ أو مفترض، يستدعي محاجته وإقناعه، فالقرآن الكريم قد استحضر في إنجازه كل الاعتراضات التي يمكن أن تدور في خلد المتلقِّي الفعلي أو المفترض، ولهذا بسط كلّ ما يأخذ بذلك"(٣٦).

وقد تأطرت بنية القصص الأربعة في سورة الكهف على استهلالات، ثم عرض، ثم تماس القضية، ثم خاتمة مقنعة، بنيت على نقاط سابقة من هدفها الإقناع.

ففي قصة أهل الكهف تؤطر باستهلالات مفادها الرد على من شكك في نبوة سيدنا محمد؛ لتحاجي قومًا خارج النص القرآني عندما أرسلت قريش رجلين من رجالها هما النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود ليتقصيا عن نبوءة سيدنا محمد، فقالت أحبار اليهود إن هناك علامات فيه نبوءته إذا أجاب عن ثلاثة أسئلة، فسألوه الأول منها: عن فتية الكهف ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾– (٩)، والثاني عن الروح ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾– (٨٣) ، والثالث عن ملك عادل يسير في الأرض يحمى الناس من شر يأجوج ومأجوج، وهو ذو القرنين ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا. إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببًا﴾).

فخارج النص يحدث جدل حجاجي تناظري كبير؛ يمكن تمثله في الشكل التالي:

قال الرجلان ← قالت الأحبار

قالا لقومهم ← سألوا محمدًا (صلى الله عليه وسلم)

والإجابة الفصل: **أجاب بما أفدى إليه الوحي عن القصص الأربع.**

لكن السورة لم تفرد هذه الأحداث وتفصلها تفصيلاً، بل أجملتها باستهلالات تؤدي للدخول في غمار كل قصة، ففي البداية استهلال عام، ثم طرح للقضايا الكبرى،

ثم: فرضية الإجابة القاطعة: عن الكتاب، وعن العلم، والأرض، ونهاية ما على الأرض:

الكتاب العلم والغيب ⟵ **الذين يعملون الصالحات**

الأرض وما عليها ⟵ نهاية ما عليها

فبدأت السورة برد يحاجي كل من نفسه ريبة حول القرآن ونزوله وما به، فقال تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾- (١)، وفي قصة صاحب الجنتين قال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾- (٤٩).

ثم يقضي رب العزة حكمًا عامًا يتماس مع كل قصة في السورة **فعلم الغيب** لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى، فقال تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾- (٥)، فجاءت مؤطرة لأهل الكهف والرد على التساؤلات عن عددهم ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ"٢- (٢٢)، و ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾-(٢٦)، ثم تختم القصص الأربعة برد قاطع يتمثل في أن علم الله واسع بحر لم ينفد ولا يعلمه أحد غيره(﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾- (١٠٩).

أما الذين يعملون الصالحات: فتمثلوا في المؤمنين عامة ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾- (٢)، وفي أهل الكهف تخصيص لهم﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾- (٣٠)، وفي قصة صاحب الجنتين يصدر رب العزة حكمًا عامًا: إن من يفعل صالحًا خير له مما على الدنيا وما فيها قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾- (٤٦).

وعندما تنتهي القصص حتى إذا ما وصلنا إلى نهاية قصة ذي القرنين نراها تختم كما بدأت السورة بالحديث عن الذين آمنوا﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾- (١٠٧)؛ ليكون مبدأ عامًا ومن ثم انتهت الآيات بقوله تعالى:(﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾- (١١٠)، وكذلك كل من يدرك أن الله يرث الأرض وما عليها ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً﴾- (٧)، فإذا أساء الإنسان استخدامها جعلها الله حطامًا ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا

عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾- (٨)، وفي قصة صاحب الجنتين ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾"- (٣٢)، وقد طغى الإنسان بنعمة ربه ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾- (٤٢)، وفي قصة موسى والخضر ذكرت دلائل على الأرض(القرية- بناء السور) فقال تعالى:﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾- (٧٧)، وفي قصة ذي القرنين ذكرت آيات الفساد في الأرض قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾- (٩٤)، ويمكن فيها من يشاء مثل ذي القرنين﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾- (٨٤)، وإذا أراد أن يجعلها دكا﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾- (٩٨).

القضايا الصغرى: وتتمثل في مقدمات القصص نفسها واستهلالاتها، ففي كل قصة افتراض أسئلة مطروحة تحاجي موقفاً؛ وقد بنيت القصص – أجمعها-على هذا الطرح.

ففي القصة الأولى: تدخل مباغتة مجيبة عن سؤال افتراضي لمن يصدق أن أصحاب آية وسر من أسرار رب العزة جلت قدرته فجملت في آيتين ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾- (٩)؛ ثم تفاجئ المتحاجي المفترض **بإذ** الفجائية ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾- (١٠).

أما **القصة الثانية:** فهي قصة صاحب الجنتين التي تأطرت بالإجابة عن سؤال حجاجي مفترض قال تعالى ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾- (٣٢)، ثم تحكي القصة عن الجنتين، وحالتهما ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾- (٣٣)، ثم تستمر القصة في حوارها الحجاجي حتى نهايتها.

أما القصة الثالثة: فتسير على المنوال نفسه فتدخل بعنصر المفاجأة مباشرة بـ **(إذ)** **(وَإِذْ** قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ) ثم يأتي السرد تتابعيًا ليكمل لنا فراغ المشهد القرآني:

(فَلَمَّا ← بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا

(نَسِيَا حُوتَهُمَا ← فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا)

أما القصة الرابعة وهي عن ذي القرنين فهي أيضا تفترض سؤالاً يطرح دائما فتكون الإجابة عنه بقل كذا...

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ **قُلْ** سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾- (٨٣).

ثم يكتمل السرد بعرض محتوى القضية وفحواها ، حيث تتمثل في التمكن:

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾-(٨٤).

ومن ثم جالت سورة الكهف بقضايا حجاجية تجسدت قصصًا بالحوار في بدايات كل قصة؛ لتعطى موعظة حية، وقد تضمنت كل قصة قضية وضحت من خلال معان عدة بيناها؛ لتجتمع كلها في خدمة الغرض القرآني الأساس الذي نزلت من أجله السورة؛ ولتربط على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب المؤمنين معه؛ لأن الله يؤيد بنصره عباده المؤمنين؛ وكان الحجاج المنطقي أقرب صور التعبير عن هذه المؤازرة. واله ولي التوفيق.

المراجع:

١- المراجع إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر ،وآخرون: المعجم الوسيط ، ج١ ، المكتبة الإسلامية ،ط٢، ص١٠٦، ١٠٧.

٢- جارالله أبي القاسم محمود الزمخشري : أساس البلاغة ، تحقيق عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ،ط ١، ١٩٩٨،ص ٧٤.

٣- جمال الدين محمد بن مكرم أبو الفضل بن منظور الأفريقي المصري :لسان العرب ،مادة (ح-ج-ج) ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ،٢٠٠٠، ص٣٨.

٤- فرحات بدري الحربي : الأسلوبية في النقد العربي الحديث ،دراسة في تحليل الخطاب ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ،ط ١، ٢٠٠٣،ص٣٢.

٥- الحواس المسعودي : البنية الحجاجية في القرآن الكريم ،مجلة ملتقى النص ،مجلة اللغة العربية والأدب ،ع ١٢،جامعة الجزائر ،ديسمبر،١٩٩٧،ص٣٣٠.

٦- صابر الحباشة : التداولية والحجاج مدخل نصوص، دار صفحات للدراسات والنشر ،سوريا ،ط١، ٢٠٠٨، ص٦٨.

٧- كريستيان بلانتان : الحجاج ،ترجمة عبد القادر المهيري،ط١ ، دار سيناترا،١٩٩٦، ص،٤٣.

٨- جميل عبد المجيد : البلاغة والاتصال ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ،٢٠٠٨،ص١٠٥- ١٠٦.

٩- كريستيان بلانتان: ص٧٢.

١٠- عبد لله صوله : الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،ط، دار الفارابي ،بيروت ، ص٤٢.

١١- كريستيان بلانتان: الحجاج ، ص١٢٩

١٢- صالح بن رمضان ،التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية ،ط١، المركز الثقافي النادي الأدبي، الرياض ،٢٠١٥، ص٩٠.

١٣- عبدالله صوله : نظرية الحجاج ،ط ، دار الجنوب للنشر، التوزيع ، تونس، ص٢٨.

١٤- محمد القاضي وآخرون : معجم السرديات ،ط دار محمد على للنشر ،تونس، ص٢٨.

١٥- محمد ولد سالم الأمين : حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة ،منشورات المركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ،طرابلس ليبيا ،٢٠٠٤، ص١٥

١٦- ينظر كريستيان بلانتان : الحجاج، ص٤١.

١٧- ينظر عبد الله صوله :نظرية الحجاج، ص ٤٩.
١٨- ينظر عبد الله صوله : الحجاج في القرآن الكريم ،ط دار الفارابي ، لبنان ، ص٧٠.
١٩- ينظر: محمد القاضي وآخرون :معجم السرديات ،ص ٢٩.
٢٠- رشدي الراضي : الحجاج والمغالطة الحوار في العقل إلى العقل في الحوار ،دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ،٢٠١٠م ،ص١١١
٢١- ينظر كريستيان بلانتان :الحجاج ،ص ٧٣.
٢٢- ينظر كريستيان بلانتان :الحجاج ،ص ٧٤.
٢٣- محمد بن أحمد الانصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ،ط دار الفكر ،مجلد ١ ، ص٨٧.
٢٤- ينظر محمد القاضي وآخرون : معجم السرديات ،ص ٤٢.
٢٥- ينظر عبدالله صوله ، نظرية الحجاج ،ص ٧٨.
٢٦- ينظر كريستيان بلانتان : الحجاج ،ص ٨٠.
٢٧- على بن محمد الحمود : جماليات الترابط في قصص سورة الكهف ، مجلة الدرعية ،عدد ٤٤، ٤٥، ٢٠٠٨، ص ٤٤٥.
٢٨- أبوبكر الغزاوي : اللغة والحجاج ،ط دار الرحاب ، بيروت ، ٢٠١٠، ص ٤٥.
٢٩- ينظر القاموس المحيط ،٣٨.
٣٠- عبد الكريم الخطيب :القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ط١، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ١٢١.
٣١- حياة دحمان :تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجا ،أطروحة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر – نباتة ، الجزائر ، كلية الآداب واللغات ، ٢٠١٢،ص ١٠٦.
٣٢- ينظر عبد الله صوله : الحجاج في القرآن الكريم ، ط دار الفارابي ،بيروت ، ص٩٣.
٣٣- رشيد الراضي : الحجاجات اللسانية ، مقال ضمن كتاب الحجاج ومجالاته ، ط ، عالم الكتاب الحديث ، إربد الأردن ،ج ٢، ٢٠١٠ ص ٢٣٤.
٣٤- صحيح البخاري : ج٥ ، ص٢٤ .
٣٥- محمد سالم ولد الأمين : مفهوم الحجاج عند بيرلمان تطوره في البلاغة المعاصرة ، عالم الفكر ، الكويت ، عدد٢، يناير ،ومارس ، ٢٠٠٠، ص ٦٦.
٣٦- عبد الحليم عيسى :البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم – سورة الأنبياء أنموذجا ، مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العربي،دمشق،عدد ١٠٢ربيع ثاني،١٤٢٧،ص ٢٦.